ولم يقل افعل فذلك رشده وقيل ان القاء ابراهيم عليه السلام في النار
ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلاء اسحاق بالذبح وهو ابن
سبع سنين وان استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة
عشر شهرا وقيل اوحي الى يوسف وهو صبي عندما هم اخوته بالقائه في الجب بقول الله تعالى
واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الآية الى غير ذلك من اخبارهم وقد حكى
اهل السير ان آمنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
ولد باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى السماء وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم
لما نشأت بغضت الي الاوثان وبغض الي الشعر ولم اهم بشيء مما كانت
الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد ثم يتمكن الامر لهم وتترادف
نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا
باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون
ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما
وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل
عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان
على حسن السمت او الشهامة او صدق اللسان او السماحة وكما نجد بعضهم على ضدها
فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل
منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له
ولهذا ما قد اختلف السلف فيها هل هذا الخلق جبلة او مكتسبة فحكى الطبري
عن بعض السلف ان الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله
بن مسعود والحسن وبه قال هو والصواب ما اصلناه وقد روى سعد عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقال

وقال عمر بن الخطاب في حديثه والجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء
وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الجميلة كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير الى جميعها
ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى فصل اما اصل فروعها وعنصر
ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا
ثقوب الراي وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب
ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل
وتجنب الرذائل وقد اشرنا الى مكانه منه عليه السلام وبلوغه منه ومن العلم الغاية
التي لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحقق عند من
تتبع مجاري احواله واطراد سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدائع
سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء
وسير الامم الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرائع
وتاصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التي اتخذ اهلها
كلامه عليه السلام فيها قدوة واشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب
والفرائض والنسب وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته ان شاء الله دون تعليم
ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل نبي امي
لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره وعلمه واقراه يعلم
ذلك بالمطالعة والبحث عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا
فلا نطول بسرد الاقاصيص وآحاد القضايا اذ مجموعها ما لا ياخذه حصر ولا
يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم الى سائر
ما علمه الله واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته
قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول في

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1